

إِنَّ الَّذِينَ رَجَوْتُ مَكَتَّهُمْ،
قَدْ أَجْمَعُوا اللَّبِينَ مُحْتَمَلًا

غزل وفخر

[الطويل]

خَلِيلِي، مُرَّابِي عَلَى رَسْمِ مَنْزِلِ،
وَرَبْعَ لِسُنْبَاءَ^(٢) ابْنَةِ الْخَيْرِ، مُحُولِ^(٢)
أَتَى دُونَهُ عَصْرٌ، فَأَخْنَى بِرَسْمِهِ
خَلُوجَانِ^(٣) مِنْ رِيحِ جَنُوبٍ وَشَمَالِ
سَرَا جِلٍّ^(٤) ضَاحِي^(٥) جِلْدِهِ مُلْتَقَاهُمَا،
وَمَرُّ صَبَاً بِالْمُورِ^(٨)، هَوْجَاءَ^(٩) مُحْوِلِ^(١٠)
وَبُدِّلَ بَعْدَ الْحَيِّ عَيْنًا^(١١) سَوَاكِنًا،
وَحَيْطَ نَعَامٍ^(١٢) بِالْأَمَاعِزِ^(١٣) هُمَلِ
بِمَا قَدْ أَرَى شَنْبَاءَ حِينًا تَحُلُّهُ
وَأَتْرَابَهَا، فِي نَاضِرِ التَّبَتِ مُبْقِلِ
أَعَالِي تَصْطَاذِ الْفَوَاذِ نَسَاؤُهُمْ،
بَعَيْتِي خَذُولِ^(١٤) مُونِقِ الْجُمِّ^(١٥) مُطْفِلِ^(١٦)

- (١) شنباء: من أسماء النساء. (٢) المحول: أحواله مرور السنين عن عهده.
(٣) خلوجان: محرّكان. (٤) سرا: كشف.
(٥) الجِلّ: الغطاء من كساء وغيره. (٦) الضاحي: البارز للشمس.
(٧) ملتقاهما: يقصد بذلك حيث تصطدم الرياح المتقابلة.
(٨) المور: الغبار تحمل معها أتربة. (٩) هوجاء: عاصفة.
(١٠) محمل: تأتي بالأمطار. (١١) العين: البقر الوحشي.
(١٢) خيط نعام: سرب منها.
(١٣) الأماعز: الأراضي الصلبة.
(١٤) الخذول: البقرة الوحشية التي انفردت بعيداً عن سربها.
(١٥) الجُمّ: المكتنزة لحماً.
(١٦) المطفل: يتبعها صغيرها.

وَوَحْفٍ^(١) يُثْنَى فِي الْعِقَاصِ^(٢)، كَأَنَّهُ
 دَوَانِي قُطُوفٍ^(٣)، أَوْ أَنَابِيْبُ عُثْصُلٍ^(٤)
 تَضِلُّ مَدَارِيهَا^(٥) خِلَالَ فُرُوعِهَا^(٦)،
 إِذَا أَرْسَلَتْهَا، أَوْ كَذَا غَيْرُ مُرْسَلٍ
 وَتَنَكَّلُ^(٧) عَنْ غُرٍّ، شَتِيَتْ نَبَاتَهُ^(٨)،
 عَذَابٍ ثَنِيَاةٍ، لَذِيذِ الْمُقَبَّلِ
 كَمَثَلِ أَقَاحِي الرَّمْلِ، يَجْلُو مَتَوْنَهُ
 سَقُوطُ نَدَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُخْضِلٍ
 إِذَا ابْتَسَمَتْ. قُلْتُ: انْكَالَالُ^(٩) غِمَامَةٍ،
 خَفَا بَرَقُهَا^(١٠) فِي عَارِضٍ^(١١) مُتَهَلِّلٍ^(١٢)
 كَأَنَّ سَحِيْقَ الْمِسْكِ خَالَطَ طَعْمَهُ،
 وَرِيحَ الْخُزَامَى فِي جَدِيدِ الْقَرْنَفِلِ
 بِصَهْبَاءٍ^(١٣)، دَرِيَاقِ الْمُدَامِ^(١٤)، كَأَنَّهَا،
 إِذَا مَا صَفَا رَاوُوقُهَا^(١٥)، مَاءَ مَفْصِلٍ^(١٦)

- (١) الوحف: الشعر الكث الأسود. (٢) العقاص: الضفائر.
 (٣) دواني قطوف: ضيقة الخطى في مشيها. (٤) العُثْصُل: بصل الفار.
 (٥) مداريها، الواحد مَدْرَى: المشط. (٦) فروعها: شعرها الطويل الكث.
 (٧) تنكّل: تبسم. (٨) شتيت نباته: متباعد ما بين الأسنان.
 (٩) انكالال: ابتسامة.
 (١٠) خفا برقها: أضاء ولمع وشع.
 (١١) العارض: الغيوم تحمل مطراً.
 (١٢) متهلّل: مشع.
 (١٣) الصهباء: من أسماء الخمرة.
 (١٤) درياق المدام: الدرياق لغة في الترياق، والترياق دواء السموم فارسي معرّب،
 والمدام بين أسماء الخمرة.
 (١٥) الراووق: ناجود الخمرة الذي تروق به.
 (١٦) المفصل: هو ما بين الجبلين وهو عبارة عن رمل وحصى، تصفو ماؤه.

وتمشي على بَرْدَيْتَيْنِ^(١)، غَذاهُمَا
 يَهَامِيمُ^(٢) أَنْهَارٍ، بِأَبْطَحِ مُسْهِلٍ^(٣)
 مِنَ الْخُورِ مَخْمَاصُ^(٤) كَأَنَّ وَشَاحَهَا
 بِعُسْلُوجٍ^(٥) غَابَ بَيْنَ غَيْلٍ^(٦) وَجَدُولٍ
 قَلِيلُهُ إِزْعَاجِ الْحَدِيثِ، يَرُوعُهَا^(٧)
 تَعَالَى الضَّحَى^(٨)، لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلٍ^(٩)
 نَوْومُ الضَّحَى^(١٠)، مَمْكُورَةُ الْخَلْقِ^(١١)، غَادَةُ،
 هَضِيمُ الْحِشَاءِ^(١٢)، حُسَانَةُ الْمُتَجَمِّلِ
 فَأَمَسْتُ أَحَادِيثَ الْفَوَادِ وَهَمَّهْ،
 وَإِنْ كَانَ مِنْهَا قَدْ غَدَا لَمْ يُنَوَّلِ
 وَقَدْ هَاجَنِي مِنْهَا عَلَى النَّأْيِ دُمْنَةٌ
 لَهَا بِقُدَيْدٍ^(١٣)، دُونَ نَعْفٍ^(١٤) الْمُشَلَّلِ^(١٥)
 أَرَادْتُ، فَلَمْ تَسْطِعْ كَلَامًا فَأَوْمَأْتُ
 إِلَيْنَا، وَنَصَّتْ جِيدَ^(١٦) أَحْوَرَ مُغْزِلٍ^(١٧)

- (١) البردتين، الواحدة بردية، وهو ضرب من النبات القصبي. ويقصد الشاعر بذلك ساقبي حبيته لانتصابها وتناسقها.
 (٢) اليهاميم: السيول.
 (٣) المنهمر من الجبل إلى السهل.
 (٤) مخماص: ضامرة البطن.
 (٥) العُسلوج: الغُصن اللدن الأخضر الطويل.
 (٦) الغيل: الماء الجاري على سطح الأرض.
 (٧) يروعها: يُخيفها.
 (٨) تعالي الضحى: شعاع شمس الضحى.
 (٩) لم تنتطق عن تفضل: أي لم تضع التطاق للقيام بالواجبات البيتية من كنس وطبخ وسواهما.
 (١٠) نؤوم الضحى: كسولة تتأخر في نومها حتى في الضحى.
 (١١) ممكورة الخلق: المطوية الخلق من النساء والمستديرة الساقين أو المدمجة الخلق.
 (١٢) هضيمة الحشاء: ضامرة البطن.
 (١٣) القديد: موضع واد.
 (١٤) النعف: ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع من منحدر الوادي.
 (١٥) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد.
 (١٦) الجيد: العنق.
 (١٧) مغزل: غزالة مطفل.

فقلتُ لأصحابي: اربعوا^(١) بعضَ ساعةٍ
عليّ، وعوجوا^(٢) من سَواهِمْ^(٣) ذُبُلٍ
قليلاً، فقالوا: إنَّ أمركَ طاعةٌ،
لِما تشتهي فاقضِ الهوى، وتأمّلِ
لكَ اليومُ حتى الليلِ إنَّ شئتَ فأَتِهمْ،
وصدُرُ غدٍ أو كُلهُ غيرَ مُعجَلِ
فإنّا على أن نُسَعِفَ النَّفْسَ بالهوى
جِراضٌ، فما حاولتَ من ذاكَ فافعلِ
ونصُّ المطايا^(٤) في رضاكَ وحبسُها
لكَ اليومَ مبدولٌ، ولكنَّ تَجَمَّلِ^(٥)
فلَمّا رأيتُ الحبسَ^(٦) في رسمِ منزلِ
سفاهاً، وجهلاً بالفؤادِ المُوَكَّلِ^(٧)
فقلتُ لهم: سيروا، فإنَّ لقاءَها
تَوافي الحجيحَ، بعدَ حَولٍ^(٨) مُكَمَّلِ
فما ذكره شنباءً، والدَّارُ غَربَةً،
عنوجٌ^(٩)، وإنَّ يُجمَعُ يُضَرُّ ويُنحلِ
وإنَّ تَنأً، تَحْدُثُ للفؤادِ زمانةً^(١٠)،
وإنَّ تَقْتَرِبَ، تَعْدُ العوادي وتَشغَلِ
وإنَّ يَحْضُرَ الواشي تُطْعُهُ، وإنَّ يَقْلُ
بها كاشحٌ عندي يُجَبُّ ثم يُعزَلِ

(١) اربعوا: قفوا.

(٢) عوجوا: ميلوا.

(٣) السواهم: النياق الضوامر.

(٤) نصّ المطايا: سيرها السريع.

(٥) تَجَمَّل: عليك بالصبر.

(٦) الحبس: الإبقاء.

(٧) الموكَّل: المتكل على غيره.

(٨) الحَوْل: السنة، العام.

(٩) عنوج: جاذبة.

(١٠) زمانة: آفة.

وإن تعدُّ لا تحفيل، وإن تدنُّ لا تصل،
 وإن تنأ لا نصبر، وإن تدنُّ أجذل^(١)
 وإن تلتمس منّا المودة، نُعطها،
 وإن نلتمس منّا لديها، تعلل
 فقد طال، لو تبكي إلى متجود^(٢)،
 بكاك إلى شنباء، يا قلب، فاحتل
 أفق، إنما تبكي إلى متمنع،
 من البخل، مألوس^(٣) الخليفة، حوّل^(٤)
 فقد كاذ يسلو القلب عنها، ومن يطل
 عليه التنائي والتباعد، يذهل
 على أنه إن يلقها بعد غيبة،
 يعد لك داء عائد، غير مرسَل
 فإنك لو تدرين أن رب فتية
 عجالي، ولولا أنت، لم أتعجل
 منعتهُم التعريس^(٥)، حتى بدا لهم
 قوارب معروف من الصبح مُنجل
 ينصون^(٦) بالمومة^(٧) خوصاً^(٨)، كأنها
 شرائح^(٩) يُنع^(١٠)، أو سراء^(١١) مُعطل^(١٢)

(١) أجذل: أفرح.

(٢) متجود: من يتظاهر بالكرم.

(٣) مألوس: مختلط العقل والرأي.

(٤) حوّل: بارع الحيلة.

(٥) التعريس: النزول في آخر الليل للاستراحة.

(٦) نص: استخرج أقصى ما عند الناقة من السير.

(٧) المومة: الفلاة.

(٨) الخوص، الواحدة خوصاء، والأخوص من الإبل الغائر العينين.

(٩) شرائح: قطع.

(١٠) الينع: ضرب من الشجر.

(١١) السراء: ضرب من الشجر.

(١٢) المعطل: الأراضي الجذباء والأرض الموات.

دَقَاقاً بَرَاهَا السَّيْرُ، مِنْهَا مُنْعَلٌ
السَّريح^(١)، وَوَاقٍ مِنْ حَقْفَى لَمْ يُنْعَلِ
وَأَضْحَوْا جَمِيعاً تَعْرِفُ الْعَيْنُ فِيهِمْ
كَرَى^(٢) النَّوْمِ، مُسْتَرْخِي الْغَمَائِمِ مُيَلٍ
عَلَى هَدَمٍ^(٣) جَعَدَ الثَّرَى^(٤)، ذِي مَسَافَةٍ،
مَخُوفٍ الرَّدَى، عَارِي الْبَنَائِقِ^(٥)، مُهْمَلٍ
تَرَى جَيَفَ الْحَيَّتَانِ فِيهِ كَأَنَّهَا
حِيَامٌ^(٦) عَلَى مَاءٍ حَدِيثٍ، مُنْهَلٍ
إِرَادَةً أَنْ أَلْقَاكَ، يَا أَثْلَ، وَالْهَوَى
كَذَلِكَ حَمَّالُ الْفَتَى كُلِّ مَحْمِلٍ
فَبَعْضُ الْبِعَادِ، يَا أَثِيلَ، فَلِإِنِّي
تَرُوكُ الْهَوَى، عَنِ الْهَوَانِ بِمَعْزِلٍ
أَبَى لِي عَرْضِي أَنْ أَضَامَ^(٧)، وَصَارَمٌ
خُسَامٌ، وَعَزُّ مِنْ حَدِيثٍ وَأَوَّلٍ
مَقِيمٌ، بِإِذْنِ اللَّهِ، لَيْسَ بَبَارِحٍ،
مَكَانَ الثَّرِيَّا، قَاهِرٌ كُلِّ مَنْزِلٍ
أَقَرْتُ مَعَدُّ أَنَّنَا خَيْرُهَا جَدَى^(٨)،
لَطَالِبِ عُرْفٍ، أَوْ لَضَيْفٍ مُحْمَلٍ
مَقَاوِيلُ بِالْمَعْرُوفِ، خُرُسٌ عَنِ الْخَنَى^(٩)،
فُضَاةٌ بِفَصْلِ الْحَقِّ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ

(١) السريح: سير يخصف به النعل. (٢) الكرى: النعاس.

(٣) الهدم: المنهار من كل ما يتهدم.

(٤) يروى «جحد» بدلاً من «جعد». وجعد الثرى: التراب الذي أصابته الندى.

(٥) عاري البنائيق، الواحدة بنقة: واسعة الانفراج.

(٦) الحيام على الماء، الواحد حائم: عطشان.

(٧) أضام: أظلم. (٨) الجدى: الكرم.

(٩) الخنى: الفاحشة.

أخوهم إلى حصن منيع، وجارهم
 بعلىاء عز، ليس بالمتذلل
 وفينا إذا ما حادث الدهر أجحفت
 نوائبه^(١)، والدهر جم^(٢) التثقل،
 لذي الغرم^(٣) أعوان، وبالحق قائل،
 ولحق تباع، ولحرب مضطل
 ولخير كساب، ولمجد رافع،
 ولحمدا أعوان، ولخيل مغتل
 نبيح حصون من نعادي، وحصننا
 أشم منيع، حزنه^(٤) لم يسهل
 نقود ذليلاً من نعادي، وقرمنا^(٥)
 أبي القياد، مضعب^(٦) لم يذل
 نفلل^(٧) أنياب العدو، ونابنا
 حديد^(٨)، شديد، روقه^(٩) لم يفلل
 أولئك آبائي، وعزي، ومغلي
 إليهم، أثيل^(١٠)، فاسألي أي معقل!

(١) أجحفت نوائبه: أفقرته الفاقة والحاجة.

(٢) جم: كثير.

(٣) الغرم: الدين.

(٤) الحزن، بسكون الزاي: ما غلظ من الأرض.

(٥) القرم: السيد.

(٦) المضعب: الفحل من الإبل يمتنع على أحد ركوبه.

(٧) نفلل: نكسر.

(٨) نابنا حديد: منيع، قوي.

(٩) روقه: قرنه.

(١٠) أثيل: تأصل.